

الاتجاهات الحديثة في التربية

(٢)

العوامل الاجتماعية

انتقل الآن الى العوامل الاجتماعية المؤثرة في التربية وهي أشدها تفوقاً في الوقت الحاضر

ان الناحية النفسية التي انتجتها التربية كانت ناحية فردية عنيت بالفرد وهو موضوع نظرها وبحمها وجعلت نموه وتكملة غايتها وحسبت هذا كافياً لانتاج مجتمع سعيد

ولسكن ظهور القوميات وتقدم فهم الناس للديمقراطية وإيمانهم بها جملاً من الضروري أن ينظر اليه في اعدادة نظرة جديدة ينظر اليه على أنه عضو في هيئة سياسية ووحدة في مجموع اقتصادي . بدأ يتبين أنه يجب أن تكون العناية بملازمة البيئة التي يعيش فيها فوق كل عناية ومن هنا قامت الصيغة بجعل التعليم مسألة الدولة لا مسألة أفراد أو هيئات دينية تسير التربية في طريق خاص . بل يجب أن تكون هناك سياسة قومية للتعليم ترمي الى غايات قومية

بدأت المجتمعات تتطلب من المدرسة أن تكون متينة الاتصال بالحياة العامة بحيث تصبح بمثابة بارومتر لها وكما ان تغيرات الجو تحدث تغيرات في البارومتر وتغيرات البارومتر تنبئ عن أحداث منتظرة في الجو كذلك يجب أن تؤثر الحياة الخارجية الدائمة التطور والتغير في المدرسة

كما تنبئ المدرسة بدورها عن مستقبل الحياة .

ولهذا الاتجاه الاجتماعي ناحيتان

أولاً - الناحية السياسية

نظرت الدول الى تسكييف المدارس بالروح السياسية الغالبة عليها
فهي جميعاً تريد أن تكون العلاقة بين الحكومة والشعب كفيلة باستقرار
المجتمع وطناً نبنة الحياة الاجتماعية ويقتضى هذا أن يعد الشعب للحياة
تحت أنظمتها وتشرب روحها

تقتضى الحياة الديمقراطية أن يكون المواطن صالحاً للقيام بواجباته
العامة قادراً على حسن استعمال حقوقه بحيث يتسنى له الاشتراك في حكم
بلاده بذلك بالتصويت في الانتخابات وبالإدارة العقلية لشؤون الدولة
إذا استطاع

ومن النتائج الطبيعية لها تميم التعليم واعطاء سائر افراد
الشعب الحد الكافي من التنقيف . وقد خطت سائر الامم خطوات
واسعة في هذا الباب فصار التعليم الاولي اجبارياً مجانياً في بعض الممالك
وصار يمتد سنوات طويلة لا تقل عن سبع سنوات في اكثر الامم
واتسع المبدأ في الولايات المتحدة لجعل التعليم الثانوي مجانياً أيضاً
ولم تسكتف أكثر الممالك بهذا القسط العام بل جعل بعضها الدراسة
الانعامية اجبارية أيضاً . وحرصت أكثر الشعوب على تميم التعليم
ونشره وتيسير سبله فجعلت أجود التعليم في المدارس الراقية زهيدة
وقامت هيئات حرة كثيرة تعاون في هذا المجهود العام كسكيات المراسلة

وسواها . ولقد قرأت أخيراً في إحدى الصحف تاريخ حياة استاذ من اساتذة أكسفورد مناسبة اعتزله الخدمة بعد بلوغه السبعين وقد ذكر أنه بدأ يتعلم وهو في سن الخامسة عشرة وكان طاملاً صغيراً في أحد المصانع فاستطاع بفضل التسهيلات الجديدة التي أوجدتها الحياة الحديثة في التعليم أن ينال وهو في مصنعه أكبر الدرجات العلمية وتمسك من التبحر في اللغات حتي صار أهلاً لأن يكون استاذاً مقارنة اللغات بجامعة أكسفورد واختتم كلامه بقوله وهكذا يستطيع الانسان هنا في إنجلترا أن يكون ما يشاء الا الملك .

وهنا ايها السادة يعرض موضوع ذو مساس بحالتنا الحاضرة وهو ما الحد الأدنى الذي يكفي لتنوير الشعب وجعل الفرد قادراً على فهم واجباته وحقوقه العامة ؛ وبعبارة أخرى ما الوظيفة التي نحدد لها لمدارسنا الأولية الجديدة التي ستكون هي مدارس التثقيف العام لسواد الشعب ؟
نسمع ايها السادة ان الآراء متجهة الى جعل غرض هذه المدارس محاربة الامية وبعبارة أخرى جعل مهمتها بإساطة تعاليم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وجعلها تمتد ثلاث سنوات من سن الثامنة الى سن الحادية عشرة ونرجو الا يتحقق هذا الظن .

ليست القراءة والكتابة والحساب المزيد شيئاً في الطفل الذي يتعلمها خلال ٣ سنوات . ليس بكاف أن يعرف كيف يقرأ وهو لا يدري ماذا يقرأ ولا كيف يجرى العمليات الحسابية وهو لا يدري أين يستعملها . إن هذه العناصر لا تبدو للناس العاديين أهم شيء في التربية هي أقل عناصر

التربية اهمية وشأنًا . أنها وسائل ايها السادة لا غايات هي كالحصا الذي تدخله الطيور في حوصلتها ليساعد على طعمن الأغذية فهل يكفي أن نملأ حوصلتها بما يساعد على الطعمن في حين أنها لا نجد ما تطعمنه ؟

انظن أن انسانًا يكون متنورًا لأقل حد مستطاع وهو يجهل تاريخ بلاده وجغرافيتها ؟ أيسكون قارئًا أو كاتبًا وهو لم يتذوق الحقائق العامة ؟

لقد عرضت عليكم ايها السادة آراء بعض المصلحين في التربية فهل تحسبون التهجبي والمطالعة والعد البسيط تنتج رجالا في ذهنه أى سمة وهل يصلح هذا حتى لأقل الأعمال العامة

وأين محل العلوم الطبيعية وتدير الصحة والاشغال اليدوية والفنون . وتاريخ البلاد وجغرافيتها وأين محل الاخلاق والعلوم المدنية وسواها في برنامج لا يمتد الا الى ٣ سنوات من سن ٨ الى سن ١١ ؟

وهل يمكن الاستغناء عن شيء من هذا في تربية تنقيفية عامة . لقد تكلم صديقي الاستاذ القباني عن أمنية جائلة تنجبه أكثر الشعوب الى تحقيقها وهي توحيد التعليم لابناء الشعب وابناء الاغنياء . ولسكنى لا انطلب كل هذا لست اطالب ترفا في التعليم وانما اطلب ضرورات لا غنى عنها ولا يكون للتعليم أية قيمة بدونها . لا أيها السادة ليست الامية التي تحاربونها هي جهل القراءة والكتابة وانما هي ظلام العقول وضيقةها وقصر الادراك العام وهذا يقتضي تنقيفًا واسمًا بعلوم حقيقية لا علوم شكلية . ليس لها من قيمة في ذاتها . نريد النور ايها السادة ولو اقتضى ذلك الا تتعلم القراءة والكتابة

ثم أين يكون الطفل من السادسة الى الثامنة . وابن يذهب من الحادية عشرة الى الرابعة عشرة . لا أحسب أحداً يجهل انحطاط حياتنا المنزلية والاجتماعية . فهل يريدون ان تتركوه في تلك البيئة المفسدة هاتين الفترتين ومن حقه ومصالحكم أن تساموه من أمه الجاهلة مبكراً ولا تساموه للمجتمع الا قادراً على الانتاج والعمل . سيقولون الضرورة المالية وأطأطىء رأسي لهذا ولن أكون نظرياً الى حد نجاساتها ولسكني أحس أن البلاد تستفيد كثيراً من نظام حسن متين يوجد تقاليد حسنة ولو أدي ذلك لانقال عائقها المالي قليلا بدلا من نظام لا فضيلة فيه سوى أنه سهل النفقات . لماذا لا تكلف كل قرية بمدرستها أو على الأقل بجزء من نفقاتها وهل تضيق الامة من زيادة ما تدفعه للمصلحة العامة قليلا . وهل تنظييف الشوارع وانارتها أكبر خطرا من التعليم ؟

النتيجة الثانية : ايها السادة للتدخل الاجتماعي تغيير مواد الدراسة وزيادة الاهتمام بالمواد الاجتماعية فيه فالتاريخ والحقوق المدنية في التعليم الأولى ترجح المواد الشكائية كالنحو والقراءة والكتابة والحساب وفي المدارس الراقية سار التعليم في اتجاه تقليل الانسانيات الادبية وترجح الانسانيات الاجتماعية كلسياسة والاقتصاد

والنتيجة الثالثة تعتبر طرق التدريس بما يتفق مع المطالب الاجتماعية فلا يكون التاريخ سرد قصص الملوك وابطال الحروب بل تاريخ تطوّر حياة الشعوب والآراء والانظمة الاجتماعية والسياسية ولم تعد الجغرافية مجرد استظهار جداول لأسماء الأماكن والمحصلات بل دراسة تأثير

العوامل الفسيوغرافية في النشاط الانساني والتطور الاجتماعى ولم تعد
 المدنيات مجرد معرفة هيئات الحكومة بل فهم وظيفتها وطبيعتها عملها
 والنتيجة الرابعة : أن هذه الاهمية الكبيرة التي انجبت للتعليم تبعا
 ازدياد اهمية المدرسين وارتفاع شأنهم واقتضى هذا أن يعنى باعدادهم عناية
 كبرى ولقد كانت أسبق الأمم لا أدراك اهمية هذا هي المانيا التي تنبئت
 منذ عهد بعيد الى أن المعلم هو اهم العوامل في التعليم وان اصلح البرامج
 تفسد في يده اذا كان غير حكيم . تنبئت لهذا منذ بدأت تعميم التعليم
 فخرمت الاشتغال بتلك المهنة على من لم تخرجه مدارس المعلمين وجعلت
 شؤون معلمي القرى راجعة الى ادارتها المركزية لا الى الهيئات المحلية التي
 تتولى الانفاق على المدارس . ولقد بلغ من إعجاب ماتيو آر نولد بسمو
 روح معلمي المدارس الاولى وعظيم اطلاعهم وببعد تعمقهم في آراء التربية
 أنه قال أنك لا تنجد في المانيا معلمين بل فلاسفة
 على أن التأثير الاجتماعى تحول الى وجهة اخرى غير الوجهة السياسية
 وهي الوجهة الاقتصادية

• • •

الأهم نرى أن الصراع الاقتصادى القائم بين الشعوب يتطلب استعدادا
 خاصا في سائر ابواب الصناعة والتجارة والزراعة .
 والأفراد يرون أن المدارس تقدم بأراء وعلوم وآداب واسكنها قليلة
 العناية بحياتهم المستقبلية قليلة العناية بأول شؤون الحياة أساسا وهو
 كسب القوت

والصناعة تتقدم تقدماً مدهشاً يقتضى استعداداً فنياً كبيراً. والمصانع تضم آلاف العمال فلا يتسع لرئيس العمل لتدريب صبيه كما كان الشأن في الماضي فلا مفر من أن تقوم المدارس بهذا الاعداد الفنى لهذا انجذبت الأمم الى انشاء مدارس ارتقائية : مدارس تعدل لحرف والصناعات والتجارة . انشأت سائر الامم مدارس صناعية وتجارية وزراعية . متعددة الدرجات لا للبنين وحدهم بل للبنات ايضا وانشئت المدارس الانمائية التى تلى المدارس الأولية نهائية وليلية وانشئت فى بعض الممالك مدارس اولية راقية تعلم فيها المعلوم الطبيعية نظرياً وعملياً بنظام يلائم الحاجات المحلية . ونظام المانيا فى التعليم التجارى محكم عجيب ففيها مدارس تجارية لكل دور من ادوار التعليم وازدادت العناية بالتعليم الزراعى فى هرنسا و المانيا وامريكا فجعلت دراستها داخلية فى المدارس الأولية والثانوية وانشئت لها مدارس عالية متعددة .

على أن العناية بالتعليم الارتقاى لم يقف عند حد انشاء مدارس خاصة به بل لقد غزا المدارس العامة وأثر فيها وفى طريقها فوضع البرنامج بحيث يمد للمدارس الارتقائية ويمهد سبيله .

ففى المدارس الأولية زادت العناية بالأعمال اليدوية . نعم أن الدافع لها ليس ارتقائياً ولسكنه دون شك يمهد له . بل لقد وجد الآن من يرى أن يتحول الى تعليم صناعى حقيقى ويرى هؤلاء المفكرون أن الصناعة قديمة ماشت تطوّر الجنس البشرى من فطرته الأولى على وجه ما وأن تطبيق هذه الفكرة على تطوّر الطفل عملاً بنظرية مماثلة ترقى

الطفل لترقى نوعه يحملنا على الظن بأن الصناعة من طبيعة الطفل أيضاً. ولقد جرب الاستاذ ديوي صاحب هذا الرأي فكرته عملياً في مدرسة ملحقة بجامعة كولومبيا فوجد أفضل النتائج ومدرسته هذه مبنية على جعل النشاط الصناعي أساس التعليم للأطفال هو في الواقع يود أن يجعل الطفل يسير في خطوات الرقي الانساني فيجتك بالمواد الخام ويسير باستخدامها بالطرق الفطرية بمونة مدرسه الى أن يصل الى التقدم الحالى الباهر.

والأستاذ من النوابع في الفلسفة وعلم النفس العام ولكن أم أبحاثه تتصل بالناحية الاجتماعية لعلم النفس. فقد أوجد مدرسة أولية للتجربة متصلة بجامعة شيكاغو ما بين سنة ١٨٩٦ م ١٩٠٣ م ونظريته في التربية قائمة على نتيجة تطبيقه لقواعد علم النفس الاجتماعي في هذه المدرسة والقاعدة الأساسية عنده هي « أن المدرسة لا يمكن أن تعد للحياة الا اذا كانت تحتوى بذاتها على العناصر والظروف القائمة في الحياة الاجتماعية » والعناصر المميزة في الحياة الاجتماعية هي ابواب النشاط الصناعي التي يشتغل فيها الناس وأذن فيجب أن يكون للنشاط الصناعي مكانة هامة في برامج الدراسة.

وقد اقتصر على النسيج والحياكة والطهي وأعمال الحيوانات في مدرسته. كمقدمة لابواب النشاط الصناعي التي يدرس تاريخها جميعاً وتطورها. وهو في هذا يحقق التضامن الاجتماعي الذي حرص عليه فروبل في روضة اطفاله وكذلك التعبير الحركي وهو الميزة الأخرى للروضة وجد سبيلاً للتطور الاوسع لأن النشاط الصناعي هنا ليس شكلياً ولا جامداً

كما هو شأنه هناك . أما التعليم في القراءة والكتابة والحساب فقد كان متصلا بالحياة الصناعية التي يمارسها الاطفال يوميا والتي يحتاجون فيها الى التكلم ويبدون من يسمعون ويبادلهم الحديث ويحتاجون فيها الى العد واجراء العمليات الحسابية على أنها لم تسكن عرضية بل كان لها نصيب واخر غير أنها تعلم تطبيقيا لا منعزلة عن شؤون الحياة ونجد نظرية جعل التعليم الصناعي اساس التربية وبناء دراية العلاقات الاجتماعية مبينا تبيننا خلافا في كتابيه « المدرسة والمجتمع » و « مدرسة الغد » وهى كتب حديثة وصف فيها اهم التجارب العملية في التعليم الأولى في الولايات المتحدة ويؤكد فيها جعل غرض التربية الأعداد للحياة الاجتماعية وبوضع فيها ضرورة تحديد أنظمة المدارس واسلوب التعليم فيها ومناهجها بما يتحقق منه هذا الغرض ويبين أن المدرسة يجب أن تكون صورة مصغرة من الحياة والا كانت هيئة صناعية لا تستحق البقاء

وللاستاذ ديووى ايضا فضل كبير في طرق التربية بما أورده في كتاب « كيف نفكر » وكتاب « الشوق والعناء في التربية » وهو يقول أن الناس جروا منذ عهد ارسطو على اعتبار الاستنتاج والاستقراء الوسيلتين اللتين تجري عليهما العمليات العقلية . وهو يرى أن هذه العمليات هي التي يجرى عليها العقل الناضج الذى مكنته التجربة من وادي البحث الخاص به أما أكثر عملياتنا العقلية فهي في دور يسبق هذا الدور تماما ويرى أن المهم البحث عن هذه العمليات العقلية الأولية التى يأتي بها الفرد للحياة ونبحث فيها عن وسائل التدريس وهو يرى اهم شئ في هذه الشوق وهو

الدافع الغريزي الذي يدفع الفرد نحو غاية معينة وهذا الشوق يجب أن يكون باعثا للمراتب العليا من العمليات العقلية التي يرتب عليها المدرس عمله.

من أمثلة التجارب العملية المدارس الارثوذكسية المتعددة في أمريكا
طريقة جاري

وهي مدارس على قاعدة اللعب - وادرس - واعمل في آن
هذه المدارس ابتكرها ويليام وبرت في جاري بانديانا بالولايات
وأساس الفكرة أن التلاميذ في المدارس المعتادة يعملون شيئاً واحداً في
وقت واحد فهم كلهم في الفصول يدرسون أو في الردهة يعملون عملاً
عاماً أو في فناء المدرسة يلعبون

أما مدرسته فتتركب من فصول مصانع وارضية للعب وبرك للاستحمام
وقاعات مطالعة ومعامل وأبهاء والعمل فيها كلها يتم في وقت واحد فبينما
يلعب بعض التلاميذ يكون آخرون يدرسون وسواهم يستحمون وغيرهم
يطالعون وآخرون يتحدثون في الردهات الخ

وقد تيسر بهذا (١) أطالة اليوم المدرس

(٢) ادخال عدد كبير في المدرسة الواحدة يبلغ عدة اصناف ما تسمعه

المدرسة الواحدة

وقد تلقى الامير يكون الفكرة بشيء من السرور وعدوها وسيلة
اقتصادية لتعميم التعليم ولا تزال تجرب في انحاء مختلفة ولم يحن الوقت
بيان ما اذا كانت صالحة للعمل بها في سائر المدارس

كذلك كان من آثار العناية بالناحية الارترافية إدخال اللغات الحية
فان الصناعة والتجارة أوجدتا صلات دولية تجعل من عناصر التنافس
الأساسي وهذه اللغات تدرس في أكثر المدارس الانتمائية والاقسام التجارية
الليلية في كثير من المدارس

وهنا يجب ذكر شيء جدير بالنظر فجا يختص بالتربية الارترافية
بلا حظ كثيرًا عدم لياقة أكثر الناس للمهن التي يحترفونها في القضاة
من نحس أنه كان يجب أن يكون مهندسًا ميكانيكيًا . وفي الاطباء من تشعر
بأنه كان اليق به أن يكون أديبًا . وفي المعلمين من يصلح لسكل شيء الا
التعليم وهكذا ويرجع هذا الى أن اختيار المهن يجرى في الغالب في وقت
مبكر لا يستطيع فيه الانسان أن يحكم على استعدادده ولا يجد الارشاد من
الخارج في هذه الناحية

وقد دعا هذا الى أمرين . أولاً . أن يكون في دراسة الانسان الاولى
ما يمينه على أن يفهم نفسه ويتضح له حقيقة استعدادده ولعل هذا المنبر
أهم مميزات فروبل ومنتسوري بل أن الاعمال اليدوية واطلاق الحرية للطفل
لا يقصد بها سوى تحقيق هذه الغاية . والثاني أن يعنى من جانب المدرس
بملاحظة الطفل وتتبع نموه وهدايته الى أبواب النشاط التي هو لها اليق .
بل لقد وضع فيما وضع من مقاييس الكفاءة الشخصية مقاييس للاستعدادات
الارترافية

وليس في الواقع إيجاد فكرة تقسيم مواد الدراسة الثانوية الى مجموعات

يتغير منها الطلبة ما يلائمهم . ألا تحديداً للميول الشخصية وتمهيداً للانجاء
الارتراقى

ومن آثار الروح الاقتصادية .. وقد يكون للدوافع الانسانية النبيلة
أكبر نصيب من هذا أيضاً العناية بإيجاد تربية ملائمة لذوى العاهات كمدارس
الصم والبكم والعمى . وإيجاد مدارس لذوى الضعف العقلى وهذه المدارس
تتصل باسم سيجوان الفرنسى واليه يرجع مباحث منتسورى . وإيجاد
الأصلاحيات لذوى الضعف الخلقى . بل وإيجاد مدارس خاصة لذوى
الضعف الصحى كمدارس الهواء الطلق للمرضى بفقر الدم وأمراض الصدر
الخ . يجب ألا يترك عضو المجتمع مهملاً فان ذلك لا يكون قسوة عليه
وحده بل يكون عبثاً بثقل خطأ الرقى فى الجماعة بأجمعها

وهنا أعرض لنقطه هامه ليست بأقل الامور وأن جاءت متأخرة .
وأريد بها التربية الخلقية

ليس من جدل أن مشكلة التربية الخلقية من مشاكل الساعه وأن
إيجاد حل لها يشمل مجهودات كثير من رجال الاصلاح فالحياة المعقدة
الحاضرة وتفكك الروابط العائلية والاجتماعية بتضخم المدن واتساع المصانع
والروح المادية الضيقة التى جعلت الاشياء والاعمال تقوم بمقياس مادى
بحسب كل هذا كان من شأنه انحطاط الاخلاق وتقهقر الجليل الحاضر فى
الناحية الروحية وتبع هذا نقص السعادة الفردية والاجتماعية هذه الحالة
تقتضى بلا شك مجهوداً كبيراً قوياً لإقامة بناء الاخلاق المتهدم وإعادة مجد
الفضيلة الذى هو أثنى ما كسبته الانسانية من تجاربها جميعاً

وهنا يختلف الباحثون أيكون التعليم على أساس الدين أم على أساس
قواعد الفضيلة العامة .

وبالضرورة لن نسمع من رجال الدين إلا أن كل تربية خلقية لا تقوم
على أساس الدين تنهار لأنها لا تستمد قوتها من الناحية التي يهتز لها الفرد
ويؤمن بصحتها . على أن الآخرين يبررون عدم رغبتهم في ادخال الدين في
تعليم المخلوق خرسهم على أن يكون بناء المخلوق قائما على الاساس الواضح
الذي تقوم عليه العلوم الاخرى وهو أساس المشاهدة والحس . ولا يخلو
الحال في الدين من ذكر أمور خارقة ومعاني بعيدة عن أدراك الطفل قد
تؤثر في تربيته العقلية باجمها

والذي نراه نحن أن يكون التعليم قائما على الدين ويكون في البدء اقصر
على المعاني الخلقية الواضحة بعيداً عن الالتجاء للغوارق والأمور التي لا
تتمشى مدارك الطفل على أن مادة الاخلاق أيها السادة ليست كل شيء وقد
ذكر بعض الأدباء أنك لن تجد أفسد أخلاقاً من علماء الاخلاق ولا أقل
تدبنا من رجال الدين أن التربية الخلقية لا تتحقق بتجديد برنامج لها
وتخصيص ساعات لها وان كان هذا قد يأتي ببعض الفائدة . ولكن الفائدة
تأتي من الحياة المدرسية العملية من سيادة روح المحبة والعدل في معاملات
التلاميذ وأساتذتهم تأتي من المثل الصامت البليغ الذي يقدمه استاذ فاضل
في تصرفاته وأعماله العادية . مثل هذا المثل أبلغ أثراً أيها السادة من حضور
اوسع برامج الاخلاق واستماع مئات المحاضرات فيها فإذا شئنا انقلاباً خلقياً

صحيحاً فلنبحث عن المدرس الصالح ولنحرص على أن يكون سمو الخلق،
أول شروطه

وفوق ذلك ففي الألعاب المدرسية والروح الذي يوجده تحول المدارس.
الى الناحية العملية : وفي ايجاد تربية تكفل للفرد حسن استعمال اوقاته.
فراغه تربية توجد فيه ذوقاً فنياً بحسب ما هو جميل في الحياة ويشغف بصرف.
فراغه فيه في كل هذا مع الادارة الابوية العليا التي يعجدها التلميذ في مدرسته.
يمكن بناء اخلاقنا على أساس صحيح

والآن اکتفي بما ذكرت راجياً أن يكون فيه ما يكفي لزيادة اهتمامنا
بالتعليم وتعديل أساسه وادخال الروح الجديدة فيه ، روح العمل . روح
الاستعداد للحياة . روح التضامن الاجتماعي . والله يوفقنا للرشاد

محمد عبد الواحد خروف

المفتش بالجمعية الخيرية الاسلامية